

قصة المختال الذي خسف الله به الأرض

فوائد وعبر

أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،
وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة
في النار.

فعن ابن عمر قال: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَخْرُجُ إِزَارَهُ مِنْ
الْخِيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(١).

وعن أبي هريرة قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ
يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مَرَجَلٌ جُمَّتْهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٢).

وفي رواية: (إن رجلاً ممن كان قبلكم يتبختر في حلة)^(٣).

غريب الحديث:

يتجلجل: أي يغوص

الحلّة: ثوبان احدهما فوق الآخر

جُمَّتْهُ: الجمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين

مُرَجَّلٌ: مشطه وتسريحه.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٨٨).

فوائد وعبر:

في الحديث ذم الكبر:

هذا الحديث جاء في معرض ذم خلق الكبر والتعالي في المظهر والتعامل. فالتكبر يوم القيامة هو أذل الناس، ويحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ) (٤).

وذلك لأن المتكبر ينازع الله في صفته التي لا ينبغي لأحد أن يتصف بها.

قَالَ هَنَّاذُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) (٥).

وقال تعالى: (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) (غافر: ٧٦).

ثم لماذا الكبر؟ ألا يعلم الإنسان مما هو فلماذا يتعالى على خلق الله؟

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١١).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠). صححه الألباني في الصحيحة (٥٤١).

مرَّ المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته.

فقال له مالك : أما علمت أن هذه المشية تُكره إلا بين الصفيين ؟ فقال له المهلب: أما تعرفني ؟ فقال له: أعرفك أحسن المعرفة، قال: وما تعرف مني ؟ قال : أما أولك فنطفة مذرّة ، وأما آخرك فجيفة قدرة ، وأنت بينهما تحمل العذرة.

قال، فقال المهلب: الآن عرفتني حق المعرفة. (٦)

حكم جر الإزار:

سُئِلَ فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين: عن رجل يجعل ثيابه تحت الكعبين ولكن ليس بقصد الخيلاء والكبر فهل عليه وزر في ذلك ؟

فأجاب بقوله: عليك وزر إذا نزل ثوبك أو سراويلك إلى ما تحت الكعبين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ) (٧).

(٦) حلية الأولياء (٣٨٤ / ٢)

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

وسئل فضيلته: عن عقوبة الإسبال إذا قصد به الخيلاء؟ وعقوبته إذا لم يقصد به الخيلاء؟

فأجاب بقوله: إسبال الإزار إذا قصد به الخيلاء فعقوبته أن لا ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة، ولا يكلمه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

وأما إذا لم يقصد به الخيلاء فعقوبته أن يعذب ما نزل من الكعبين بالنار، فعن أبي ذرٍّ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتْهُ بِالْخُلْفِ الْكَاذِبُ^(٨).

فمن جر ثوبه خيلاء وتكبر لم ينظر الله إليه يوم القيامة وكفاه بذلك حرمان.

هل البنطال داخل في الإسبال؟

قال الطبري: إنما خص الإزار بالذكر في حديث أبي هريرة والله أعلم؛ لأن أكثر الناس في عهده ﷺ كانوا يلبسون الإزار والأردية، فلما لبس الناس المقطعات وصار عامة لباسهم القمص والدراريع كان حكمها

(٨) أخرجه مسلم (١٠٦).

حكم الإزار، وأن النهى عما جاوز الكعبين منها داخل في معنى نهيه عليه السلام عن جر الإزار، إذ هما سواء في المماثلة، وهذا هو القياس الصحيح.^(٩)

العجب بالحلة واللباس صفة قارون، ولقد قص الله علينا قصته، أنه كان يتبخر بحلته ويتباهى على الناس بما آتاه الله فقال الله تعالى عنه: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ (القصص: ٧٩-٨١).

جزاء من جنس عمله ، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه، ومتاعه.^(١٠)

خرج بحلته بقصد التفاخر والتباهي فنازع الله في رداءه فخسف به الأرض.

(٩) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٩ / ٨١).

(١٠) تفسير السعدي (١ / ٦٢٣).

بل لقد ذكر أبو نصر الكلاباذي في معاني الأخبار: أنه قارون وكذا هو في صحاح الجوهري.

فخسف الله به الارض وهذا جزاء وفاقاً لمن أراد أن ينزل نفسه أعلى من منزلتها.

فكان على الله حق أن يذله ويهينه فبدل أن يتعالى على الناس، أرداه الله في أسفل الأرض. ولا يظن أن الله أرداه لأنه تجمل لكن أرداه لأنه تكبر فجرمه الكبر.

هل التجميل بالثياب ممنوع؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرٌ الْحَقُّ وَغَمَطٌ النَّاسِ) (١١).

وعن البراء بن عازب قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا يَبْنِ الْمُتَكَبِّرِينَ، عَظِيمَ الْجُمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ (١٢).

(١١) أخرجه مسلم (٩١).

(١٢) رواه البخاري (٣٥٥١) ومسلم (٢٣٣٧).

هذه الأحاديث وغيرها كثير تدل على أن النبي ﷺ كان يعجبه أن يكون للمسلم منظراً حسناً ولكن على ألا يدفعه ذلك إلى الكبر والرياء.

عن مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ أَوْ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدْتُمْ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبِي مَهْنَتِهِ) (١٣).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: (أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ؟ وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ؟) (١٤).

فهو يحث أصحابه على التجميل والتزين.

حكم إطالة و ترجيل الشعر للرجال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصف أذنيه). وفي طريق أخرى: (أنصاف أذنيه) (١٥).

وعن عائشة قالت: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمَةِ وَدُونَ الْوَفْرِ. (١٦)

(١٣) أخرجه أبو داود (١٠٧٨).

(١٤) أخرجه أبو داود (٤٠٦٤) وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٣).

(١٥) أخرجه مسلم (٢٣٣٨).

(١٦) أخرجه الترمذي (١٧٥٥) وهو صحيح.

الجمّة: الشعر النازل إلى المنكبين، والوفرة: ما بلغ شحمة الأذن .

وقال المباركفوري: وهذا بظاهره يدل على أن شعره ﷺ كان أمراً متوسطاً بين الجمّة والوفرة، وليس بجمّة ولا وفرة، لكن جاء في بعض الروايات أنه ﷺ كان له جمّة ولعل ذلك باعتبار اختلاف أحواله ﷺ. (١٧)

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا حَائِضٌ. (١٨)

ففي هذه الأحاديث دلالة على جواز إطالة الشعر وجعله جمّة، ولا بأس بذلك لكن لا بد أن يتعهده صاحبه بالنظافة والتمشيط ودهنه أي لا بد أن يكون جميلاً. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١٧) تحفة الأحوذى (٣٦٢ / ٥).

(١٨) أخرجه البخاري (٢٩٥).